التعامل مع الجنس والمخدرات

8

التعامل مع الجنس والمخدرات

كانت المجموعة أقل عددا الليلة. مكننا ذلك من الانتقال إلى المكتبة، والجلوس بارتياح على طاولة الاجتماعات. بدأ بعض الحاضرين بالتحدث عن لقاء الأسبوع المنصرم، ومدى استمتاعهم به، وتحسن الأحوال في منازلهم بعد انعقاده، ووقوعهم، مع أولادهم، في شرك تكرار العبارات السلبية القديمة ذاتها، ثم لجم أنفسهم عندئذ، والابتسام بخجل، وإعادة صياغة جملهم بالشكل المطلوب. لقد شعروا بالارتياح لاستخدام الكلمات الجديدة التي تعلموها، بالرغم من غرابة بعضها، وعدم اعتيادهم عليها.

حاولت كارين الإنصات بهدوء، والحفاظ على رباطة جأشها، ولكنني استطعت رؤية التوتر باديا عليها. أخرجت الأخيرة ما في جعبتها، مع أول فترة صمت تخللت الحوار، قائلة: "آسف لأن أكون سلبية، وأثير هذا الأمر، ولكنني مستاءة حتى اللحظة مما حدث في الحفلة التي حضرتها ستايسي في الأسبوع الماضي". توقفت عند هذه النقطة، وأخذت نفسا عميقا، ثم تابعت حديثها قائلة: "سمعت

أن إحدى زميلاتها في الصف قد مارست الجنس الفموي مع عدد من الأولاد. حسناً، لست بقديسة، ولكنني لست بمغفلة أيضاً. أعلم كل ما يجري مع مراهقي اليوم مما كنا لا نسمع به حين كنا صغاراً، وأحاول أن أتفهمه، ولكنني لا أستوعب أن يحدث ذلك في مجتمعنا، مع فتيات في الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر، أثناء حفلة عيد ميلاد إحدى صديقاتهن!".

رغب كل الجالسين على الطاولة في الإدلاء بدلوهم:

"يصعب تصديق ذلك، ولكنه يحدث في كل مكان، بحسب ما أقرأ، مع من هم أصغر من الأولاد، ولا يقتصر على الحفلات فحسب، بل وحمامات المدارس، والحافلات، والمنازل قبل أن يصل الوالدون إليها من أعمالهم".

"يتمثل ما يزعجني كثيراً في أن الأولاد يقللون من أهمية الأمر. لا يعني الجنس الفموي بالنسبة لهم أكثر مما كانت تعنيه قبلة ما قبل النوم لنا، بل إنهم لا يعتبرونه جنساً بالأساس، ولا يرون خطورة في ممارسته على اعتبار أنه لا يؤثر في العذرية، أو يؤدي إلى الحمل".

"ليس ذلك الأمر بآمن، وهو ما يخيفني إلى حد كبير. يعمل أخي طبيباً، وقد أخبرني أن للجنس الفموي مضاره على الأولاد تماماً كما للفعلي منه".

"أشعر بالغثيان لمجرد الاستماع لذلك. يمثل الأمر برمته كابوساً حقيقياً بالنسبة لي. أعتقد أن حله الوحيد يكمن في عدم ممارسته على الإطلاق".

"نعم، ولكن يجب أن نواجه الواقع. يختلف عالمنا اليوم عما سبقه. سمعت أن بعض الفتيات يقمن به علانية".

"سمعت ذلك أيضاً. من الواضح أن الفتاة تفعل ذلك بدافع من رغبتها في اكتساب الشعبية، ولكنها لا تدرك أنه يسيء إلى سمعتها".

"بينما تتحسن سمعة الفتى جراء ممارسة الجنس الفموي، ناهيك عن أنه يتفاخر بذلك".

"أقلق على كل منهما. ما الذي سيكون شعورهما عليه، مثلاً، حين يصادفان بعضهما بعضا في رواق المدرسة صبيحة اليوم التالي؟ وكيف ستؤثر ممارسة هذا النوع من الجنس في علاقاتهما المستقبلية؟".

ازدادت كارين توترا مع كل تعقيب يصدر عن الحاضرين. تحدثتْ قائلة: "حسنا حسنا. ها قد اتفقنا على أنه أمر شائع يقوم كثير من الأولاد به، ولكن ما الذي يفترض بي فعله حياله؟ لا يمكنني تجاهله. لا بد أن أتحدث مع ستايسي عما حدث في تلك الحفلة، ولكنني لا أعلم من أين أبدأ حتى. أشعر بالحرج، حقيقة، من مجرد إثارة الموضوع معها".

تبادل الحاضرون نظرات الحيرة فيما بينهم، عقب فترة صمت طويلة، ثم رنوا جميعا بأبصارهم إلي في نهاية المطاف. لم يكن الأمر سهلا بالنسبة لي. خاطبتهم قائلة: "يتمثل ما أنا واثقة منه في عدم مخاطبة كارين لابنتها على النحو التالي: "ستايسي، أعلم كل ما حدث في تلك الحفلة، وأشعر بالصدمة، والغضب، والاشمئزاز من ذلك. يمثل ما سمعته أكثر الأمور إثارة للقرف!. هل كانت فتاة واحدة أو أكثر؟ هل أنت واثقة؟ هل طلب منك القيام بذلك أيضا؟ وهل فعلت؟، لا تكذبي علي!".

"ستملكين، عوضاً عن الانفجار في وجهها، أو الاندفاع في استجوابها، ستملكين فرصة أفضل في الانخراط بحوار بناء معها إن حافظت على نبرة محايدة في حديثك، وطرحت ما هو عام، لا شخصي، من الأسئلة. على سبيل المثال: "ستايسي، سمعت بما فاجأني، وأود التحقق منه. أخبرني أحدهم أن الجنس الفموي يمارس في حفلات الأولاد، بما فيها تلك التي كنت تحضرينها الأسبوع الماضي".

"يمكنكِ، سواء أكدتِ أم أنكرتِ، أن تواصلي الحديث بالنبرة المحايدة ذاتها: "أتساءل، منذ أن سمعت بالأمر، عما إذا كانت الفتيات تفعلن ذلك بضغط من الفتيان، أو ظنا منهن أن ذلك يكسبهن الشعبية، وعما يمكن أن يحدث لو رفضن القيام بذلك".

"يمكنك التعبير عن وجهة نظرك، بعد أن تخبرك ستايسي بالقدر الذي يريحها. أنصح بكل الأحوال، وبالنظر إلى صعوبة إثارة

هذا الأمر على الوالدين، أن تأخذي بعض الوقت لتحديد ما تودين قوله بعناية".

عقبت كارين بحزن قائلة: "أعلم ما أود قوله، وأنها لا تستطيع سماعه".

بدت الحيرة على ملامح لورا. سألتها قائلة: "ما هو؟".

أجابتها كارين قائلة: "أنني أشعر بخطأ استغلال أحد الأشخاص لآخر إرضاء لرغباته، أو قيام أحدهم "بخدمة" غيره لمجرد اكتساب الشعبية. أرى ذلك مهينا للغاية، ويقلل من احترام المرء لذاته، وهو ما ينطبق على الفتيان كما الفتيات".

عقبت لورا قائلة: "يبدو ذلك جيدا بالنسبة لي. لم لا تقولينه لستايسي؟".

تنهدت كارين قائلة: "أتمنى لو أفعل، ولكنني أعرف ابنتي. ستخبرني على الأرجح أنني متزمتة ومتخلفة، وأنني لا أفهم ما يجري في يومنا هذا، وأن الأمر لا ينطوي على ذلك القدر من الأهمية أو الخطورة بالنسبة للأولاد، وأن أجواء بعض الحفلات تستلزم ذلك. فما عساي بقائلة لها؟".

أجبتها قائلة: "يمكنك البدء عبر الإقرار بوجهة نظرها: "إذاً لا يمثل الأمر تلك الأهمية بالنسبة لك والكثير من أصدقائك"، ثم إخبارها بوجهة نظرك الخاصة: "يمثل الجنس الفموي، من وجهة

نظري، أمراً شخصياً، وحميمياً للغاية، لا لعبة تمارس في الحفلات من قبيل اللهو. لا أنفك أتساءل عما إذا كان بعض ممارسيه سيندمون فيما بعد، ويتمنون لو أنهم لم يقوموا به أصلا". مهما كان رد ستايسي في حينه، فقد أعطيتها ما تفكر به، وأعلمتها، على أقل تقدير، بموقفك من المسألة برمتها".

عقب مايكل قائلاً: "تماماً!. يتعين عليك أيضا أن تطلعي ستايسي على مضاره الصحية. يمثل ذلك أمراً جدياً للغاية في نظري".

هزت لورا رأسها قائلة: "لو كانت ابنتي في هذا الموقف، فستصم أذنيها منذ اللحظة الأولى. أعرف ابنتي، وأعرف أنها لا تطيق الاستماع إلي وأنا أعدد ما يمكن أن ينتج عن ذلك من مضار".

عقب مايكل بحماسة قائلاً: "ولكننا الوالدين هنا!. يتعين علينا، سواء أحبوا أم لم يحبوا، أن نطلعهم على الكثير من الأمور المتعلقة بالجنس حماية لهم".

أقرت لورا بأسى، قائلة: "أعلم أن ما تقوله صحيح، ولكنني أهاب إثارة الموضوع (بصورة مباشرة) مع ابنتي".

عقبتُ قائلة: "لا يقتصر ذلك عليك فحسب، بل يحرج المراهقين أيضا. أضف إلى ذلك أن موضوع الجنس مهم ومعقد للغاية بحيث تصعب معالجته في جلسة واحدة. يتعين عليكم، عوضا عن ذلك، أن تتصيدوا الفرص التي يمكن أن تثيروا الأمر من

خلالها "بالتدريج". يمكنكم، على سبيل المثال، حين تجلسون مع أولادكم، وتشاهدون فيلما، أو برنامجا تلفزيونيا، أو تستمعون إلى الأخبار في المذياع، أو تقرؤون مقالة في مجلة ما، يمكنكم أن تستغلوا ما تشاهدونه أو تسمعونه للبدء في حوار بناء معهم".

أثار اقتراحي ردودا مباشرة. أوضح البعض أنهم يستخدمون هذه الطريقة بالفعل مع أولادهم. هاكم، في الرسوم التالية، بعضا من الأمثلة التي أطلعوا المجموعة عليها.

عوضا عن إثارة الموضوع "بصورة مباشرة"

انتهز الفرص لإثارته "بالتدريج"

عند الاستماع إلى المذياع

عند قراءة الجريدة

عند مشاهدة التلفاز

عند قيادة السيارة

رفعت جوان يدها، قائلة: "لم تكن أمي لتثير أيا من هذه المواضيع معي بالنظر إلى ما ستشعر به من خجل لو فعلت، ولكنها قامت بأمر واحد فقط حين كنت في الثانية عشرة من عمري تقريبا: أعطتني كتابا عن "حقائق الحياة". تظاهرتُ بعدم اهتمامي بذلك الكتاب، ولكنني قرأته من الغلاف إلى الغلاف. كنا نغلق باب غرفتي، حين تأتي صديقاتي لزيارتي، ونقرأ الكتاب ثانية، ونقهقه ضحكا على ما يحويه من صور".

عقب جيم قائلا: "يتمثل ما يعجبني في أن الكتب تمنح الأولاد هامشا من الخصوصية، وفرصة الاطلاع على محتواها دون رقابة من أحد، ولكن لا يمكن أن يحل أي كتاب محل الوالدين. يجب أن يعلم المراهقون ما يفكر به والدوهم، وما يتوقعونه منهم".

عقبت لورا قائلة: "هذا هو ما يقلقني، "التوقع". بمعنى آخر، لو تحدثت مع أولادك عن الجنس، وأعطيتهم الكتب التي تدور حوله مع كل ما تحويه من صور، أفلن يعتقدوا أنك تتوقع منهم ممارسة الجنس، وأنك تمنحهم الإذن لذلك؟".

عقب مايكل قائلا: "مطلقا... مطلقا إن أوضحت أن ما تقدمينه لهم هو عبارة عن معلومات حول الجنس، لا إذنا بالقيام به. يتراءى لي، علاوة على ذلك، أن عدم إطلاع أولادنا على بعض الحقائق الأساسية يمكن أن يعرضهم للخطر. إن كان هنالك ما نؤمن بضرورة إطلاعهم عليه حماية لهم، فلن نتأكد من معرفتهم به إن لم نطلعهم عليه بأنفسنا".

توقف مايكل عن الحديث لبرهة، بحثا عما يمكن أن يقدمه من أمثلة، ثم أردف قائلا: "كم هو، على سبيل المثال، عدد الأولاد الذين يعلمون كيفية اتباع طرق الوقاية من الأمراض الجنسية؟".

قطب توني حاجبيه، قائلا: "يعد السؤال السابق غاية في الأهمية، ويجب أن نطلع أولادنا على الأخطار المترتبة عن ممارسة الجنس كافة، ولكن ألا يجدر بنا أيضا إخبارهم عن محاسنه: أنه أمر غريزي، ويمثل حاجة طبيعية، بل وضرورية بالنسبة للإنسان؟. بالله عليكم، لولاه ما كنا جميعا هنا!".

انفجر الحاضرون بالضحك. خاطبت توني قائلة: "يمكن، مع ذلك، أن تطغى تلك المشاعر الغريزية الطبيعية على أولادنا، في بعض الأحيان، وتؤثر بشكل سلبي في أحكامهم. لا يتعرض المراهقون في يومنا هذا إلى ضغوط هائلة من قبل حاجاتهم الجسدية، أو أقرانهم فحسب، بل وثقافة البوب "المجنسنة" التي تعرض الصور الجنسية على التلفاز، وشبكة الإنترنت، وفي الأفلام، والأغاني المصورة".

"من الطبيعي إذاً أن يرغب الأولاد في تجريب ما يرونه أو يسمعونه، ومن الضروري أن نخبرهم أن الجنس يمثل حاجة طبيعية بالنسبة للإنسان، ولكننا ملزمون أيضا بمساعدتهم في رسم الحدود، وإطلاعهم على قيمنا، وإعطائهم ما يفيد من التوجيهات في حياتهم".

تساءل توني قائلا: "مثل ماذا؟".

أجبته، بعد أن فكرت للحظة، قائلة: "حسنا، مثل إخبارهم بعدم السماح لأي كان بالضغط عليهم لممارسة ما لا يرتاحون له من الجنس. لا يعني ذلك تصرفهم بفظاظة، بل إعلام الشخص بماهية شعورهم عبر قول التالي بكل بساطة: "لا أرغب القيام بذلك".

عقبت لورا بحماسة، قائلة: "أوافقك الرأي تماما. لا يجدر بهم الخروج مع أي ممن لا يحترمون ذلك... ويجب أن يتم إفهامهم أن الجنس لا يمارس لمجرد الاعتقاد بأن الجميع يمارسونه، وأنهم ملزمون بفعل ما هو صائب بالنسبة لهم فحسب. من يدري بما يجري حقا؟. ربما يمارس الكثير من الأولاد الجنس، ويكذبون بشأن ذلك".

عقبت جوان قائلة: "وبالحديث عن "فعل ما هو صائب بالنسبة لهم"، فيجب على الأولاد، قبل أن يسلموا أجسادهم وأرواحهم إلى أي كان، أن يوجهوا الأسئلة الجدية التالية إلى أنفسهم: "هل هو من يهتم لأمري حقا؟"... "هل هو من يمكنني الوثوق به؟"... "هل هو من أكون على سجيتي معه؟".

عقبت كارين قائلة: "أعتقد أن الرسالة الرئيسة، التي يجب على الأولاد سماعها من والديهم، تتمثل في التالي: "تمهلوا. لا داعي للعجلة". من الخطأ أن يمارسوا الجنس، أو يعبثوا – أو أيا كانت التسمية – وهم في هذه السن المبكرة".

عقبت جوان بحماسة، قائلة: "أتفق معك تماما!. يتعين عليهم التركيز، في هذه السن، على دراستهم، والانخراط في أنواع الأنشطة كافة (الرياضة، الهوايات، الأندية)، والمشاركة في العمل الطوعي، لا تعقيد حياتهم بما هو جنسي من العلاقات. أعلم أنهم لا يودون سماع ذلك منا، ولكننا ملزمون بإخبارهم أن بعض الأمور تستحق التأني".

عقب مايكل قائلا: "يوجد على الدوام من لا يتأنى من الأولاد، ويصمم على "المضي حتى النهاية". يجب في تلك الحالة أن يسمعوا كلاما جديا ومباشرا من والديهم. إن ظن المراهقون أنهم بالغون بما يكفي لممارسة الجنس، فيتعين عليهم أن يتحملوا المسؤولية عن ذلك، ويتعاملوا مع نتائجه كالبالغين".

أومأ جيم برأسه، تقديرا لما سمعه للتو، قائلا: "أحسنت يا مايكل. قد وصفت الأمور بشكل صحيح. ينطبق ما قلته على جميع الأولاد، شواذا كانوا أم أسوياء".

عقبت جوان قائلة: "أود إضافة أمر آخر. يجب أن نعلم أولادنا أن ممارسة الجنس تغير من طبيعة العلاقات، ولا تزيدها، مع ما يرافقها من مشاعر، إلا تعقيدا، فإن لم تجر الأمور على ما يرام، أو انفصل الطرفان عن بعضهما - وهو ما يحدث دوما مع المراهقين - فيمكن أن يكون لذلك عواقب مدمرة على كل منهما".

"أذكر ما حل بأعز صديقاتي في الثانوية. كانت متيمة بحب أحد الفتيان، وقد أقنعها بممارسة الجنس معه. تركها فيما بعد من أجل فتاة أخرى، ففطر قلبها، وحطمها بكل معنى الكلمة. تدنت درجاتها الدراسية، وعجزت عن الأكل، أو النوم، أو التركيز لفترة طويلة".

عقب جيم قائلاً: "حسنا، أعتقد، بعد سماع كل هذا، بوجود مبررات قوية لإمساك المراهقين عن ممارسة الجنس. لا بد من الإقرار بأن هذه الطريقة هي الأكثر أمنا. قد يقول البعض "إن مراهقي اليوم يبلغون باكرا، ويتزوجون في سن متأخرة، وإن مطالبتهم بالإمساك عن ممارسة الجنس لفترة طويلة هي أمر غير واقعي"، ولكن ذلك لا يعني عدم اقترابهم من بعضهم بعضا، أو تشابك أيديهم، أو العناق وتبادل القبلات فيما بينهم. يعد ذلك مقبولا في نظري... مقبولا للجميع خلا ابنتي".

تبسم الحاضرون بعد سماع العبارة الأخيرة. تحدثت لورا، والاضطراب باد عليها، قائلة: "يسهل الجلوس حول الطاولة، وتقرير ما يجب أن نقوله لأولادنا، بينما تصعب متابعتهم لأربع وعشرين ساعة يوميا، علاوة على عدم وجود ما يضمن إصغاءهم إلينا".

عقبتُ قائلة: "أصبت يا لورا. لا توجد أي ضمانات. يمكن أن يلتزم بعض المراهقين بما يقوله والدوهم، في حين لا يفعل آخرون. ستزيد المهارات التي اكتسبتموها، مع ذلك، من احتمالات إصغاء الأولاد إليكم، ناهيك عن تمتعهم بالثقة التي تمكنهم من

الإصغاء إلى أنفسهم، ورسم حدودهم الخاصة، وهو ما يعد الأهم في نظري".

عقب توني بحماسة قائلاً: "من فمك لباب السماء، كما يقولون بالعامية!. أتمنى من كل قلبي أن ينطبق ما قلته الآن على مشكلة المخدرات أيضا، بالنظر إلى عدم ارتياحي لبعض من يتسكع ولدي معهم. لا يحظى أولئك بسمعة طيبة - فصل أحدهم لتعاطيه المخدرات في المدرسة - ولا أرغب في تأثره بهم. بمعنى آخر، إن حاولوا إقناعه بتعاطي المخدرات، فما الذي يمكن أن أقوله منعا لحدوث ذلك؟".

أجبته قائلة: "أخبرني أنت بما تود قوله لولدك في تلك الحالة".

رد قائلاً: "ما اعتاد والدي قوله لي".

سألته قائلة: "ما الذي اعتاد والدك قوله لك؟".

أجابني قائلاً: "إنه سيكسر كل عظمة في جسدي إن ضبطني أتعاطى المخدرات".

سألته قائلة: "هل ردعك ذلك؟".

أجابني قائلاً: "لا، ولكنني حرصت على ألا يضبطني متلبسا".

ضحكتُ قائلة: "تعرف الآن، على الأقل، ما لا ينبغي عليك قوله".

تساءلت لورا قائلة: "ماذا لو قلت له: (أصغي إلي، إن حاول أي كان إقناعك بتعاطي المخدرات، فارفض وحسب)؟".

نظر توني إلي متسائلا.

تحدثتُ قائلة: "تتمثل مشكلة تلك الطريقة في أنها غير كافية بحد ذاتها. يحتاج الأولاد إلى سماع ما هو اكثر من عبارة "ارفض وحسب"، بالنظر إلى الضغوط الهائلة التي يتعرضون لها في يومنا هذا، وصعوبة مقاومتها: ثقافة البوب ورسائلها الضارة، وفرة المخدرات وسهولة الحصول عليها، إلحاح الأقران المتواصل: "يجب أن تجرب هذا"... "ثق بي، ستحبه"... "هذا الصنف رائع للغاية"... "سيتملكك شعور رائع حين تجربه"... "سيساعدك على الاسترخاء"... "بالله عليك، لا تكن جبانا".

"يتمثل ما هو أمر وأدهى فيما توصل إليه العلماء من أن دماغ المراهق يظل في طور التشكل مع كل ما يبدو عليه من نضج جسدي، وأن الجزء المتحكم بالرغبات، وإطلاق الأحكام يصنف ضمن آخر ما يتطور من أجزاء الدماغ".

عقبت لورا قائلة: "هذا مخيف للغاية".

وافقتها الرأي قائلة: "نعم، إنه كذلك، ولكن الخبر الجيد يتمثل في تمتعكم بما يفوق إدراككم من النفوذ. يهتم أولادكم كثيرا بما تظنون. قد لا يظهرون ذلك على الدوام، ولكن قيمكم وقناعاتكم

مهمة للغاية بالنسبة لهم، ويمكن أن تشكل العامل الرئيس المؤثر في قرارهم بتعاطي المخدرات وشرب الكحول من عدمه. توني، يمكن على سبيل المثال أن تقول التالي لولدك: "أتمنى أن يتوقف صديقك عن تعاطي المخدرات. إنه ولد لطيف، وأكره أن يضر ذلك بمستقبله".

تابعتُ حديثي قائلة: "لا نحمي أولادنا عبر ما نقول فحسب، بل وما نفعل أيضا. يتأثر المراهقون كثيرا بتصرفاتنا".

عقبت جوان قائلة: "أصبتِ كبد الحقيقة. عاقبني والدي مرة لأنني شربت في إحدى الحفلات. كنت أراه يشرب قبل الطعام وبعده، فاعتقدت ألا ضير في قيامي بذلك أيضا".

عقبت لورا قائلة: "امتلك والدك، على الأقل، فكرة عما كان يحدث معك، وحاول التصرف بمسؤولية، في حين يغفل الكثير من الوالدين في يومنا هذا عن إدراك ما يجري مع مراهقيهم، وينخدعون بالمظاهر. لا توجد أي ضمانة للتأكد مما يحدث معهم حقا. قرأت أحد المقالات مؤخرا عن بعض المراهقين المنتمين إلى عائلات ثرية. حلت أسماؤهم على لائحة الشرف الدراسية على الدوام، وشكلوا أعمدة بارزة في الفرق الرياضية كافة في مدارسهم، بينما كانوا يشربون ويعبثون في حفلات أسبوعية. لم يكتشف والدوهم شيئا إلى أن انتهى بعضهم في المستشفيات، وكاد يقضي أحدهم".

عقبتُ قائلة: "تقرع تلك القصة ناقوس الخطر. تقام حفلات الشرب والعبث كثيرا في يومنا هذا، وتعد باعث قلق حقيقي للوالدين، بالنظر إلى أن ما نعلمه الآن عن خطورة شرب المراهقين يفوق ما كنا نظنه في السابق. تظهر الدراسات الحديثة كافة أن دماغ الإنسان يمر بفترة حرجة من التطور في فترة المراهقة. تدمر الكحول خلايا الدماغ، وتضر بأعصابه، وتسبب فقدان الذاكرة، ومشكلات التعلم، وتضع صحة المراهق بأكملها على المحك. توجد أدلة جديدة أيضا على زيادة احتمالات الإدمان على الكحول كلما أبكر المراهق في شربها".

عقب توني بحماسة قائلا: "عظيم!. كيف يمكن لنا، بعد أن أصبحنا على علم بكل تلك الحقائق، أن ندخلها في أذهان أولادنا الغافلين؟. لا يستخف أولئك بمخاطر شرب الكحول فحسب، بل ويتسابقون فيما بينهم، خلال الحفلات، على شربها، قبل أن يتقيئوا، أو يسقطوا مغشيا عليهم".

عقبتُ قائلة: "وهو ما يوجب علينا الوضوح وتوخي الدقة حين نخاطبهم قائلين: "يمكن أن تتسبب حفلات الشرب والعبث في قتلكم. يمكن أن تتسمم أجسادكم إن شربتم كمية كبيرة من الكحول في حفلة واحدة، ناهيك عن فقدان الوعي، أو الدخول في غيبوبة، أو الوفاة. هذه حقائق طبية مثبتة".

تحدثت جوان بألم، بعد أن وضعت يدها على رأسها، قائلة: "هذا كثير للغاية بالنسبة لي. لا شك أن الكحول تمثل مشكلة كبيرة

بحد ذاتها، ولكنني قرأت أن من يدمن شربها من المراهقين يصبح أكثر عرضة لتعاطي المخدرات أيضا. توجد الكثير من أنواع المخدرات الجديدة التي لم أسمع بها قبلا".

تسابق الحاضرون على تعداد بعضها، مع كل ما لأسمائها من غرابة، ووظائفها من وقع في النفس.

عقب توني، بعد أن هز رأسه، قائلا: "عجبا، يوجد الكثير لنتعلمه بعد، أليس كذلك؟".

عقبتُ قائلة: "تبدو تلك المعلومات مفاجئة بالفعل، ولكنها متوفرة في الكتب، والمجلات، وشبكة الإنترنت. بإمكانكم الاتصال بالجهات المختصة، والحصول على آخر ما تصدره من كتيبات بهذا الشأن، علاوة على التحدث مع الوالدين الآخرين للاطلاع على ما يعرفونه من معلومات، وسؤال أولادكم عما يتعاطاه زملاء دراستهم من صنوف المخدرات".

عقب توني قائلاً: "حسنا، يبدو أن لدي الكثير لأقوم به".

عقبت قائلة: "لست وحدك فحسب، بل جميع الوالدين أيضا. يجب أن نوضح لأولادنا أن آباءهم وأمهاتهم مطلعون، ومهتمون، ومستعدون لفعل ما يلزم لحمايتهم".

"مجددا، لا تؤتي إثارة الموضوع بشكل مباشر أكلها. يحتاج الأولاد سماع آرائكم في المخدرات بطرق مختلفة، وفي أوقات

متعددة، علاوة على أهمية شعورهم بالارتياح لطرح الأسئلة عليكم، والإجابة عن تلك العائدة لكم، وسبر أفكارهم ومشاعرهم".

"لنواجه تحدينا الأخير إذاً!. كيف يمكننا انتهاز ما قد يتوفر من فرص صغيرة خلال اليوم للتحاور مع أولادنا حول المخدرات؟، وما الذي يمكن أن نتخيله من حوارات بهذا الصدد؟".

اطلع الحاضرون، بعد كثير من الأخذ والرد، على السيناريوهات التالية.

انتهز الفرص الصغيرة للتحدث عن المخدرات

عند قراءة الجريدة

عند مشاهدة الإعلانات

عند التعليق على أمر ما

عند قراءة المجلة

عبر سن أسوة حسنة

عند التعليق على برنامج إذاعي

رفعت لورا يدها، بينما كنا نناقش مثالنا الأخير، قائلة: "تمثل كل ما تحدثنا عنه حتى الآن في كيفية إبعاد أولادنا عن تعاطي المخدرات، ولكن ماذا لو كانوا يتعاطونها بالفعل؟. ماذا لو فات الأوان؟".

أجبتها قائلة: "لا يفوت الأوان أبدا لاستخدام ما تتمتعون به من نفوذ كوالدين. لو سلمنا جدلا أن مراهقيكم قد تعاطوا المخدرات لمرة واحدة، لا أكثر، على سبيل التجربة، فلا يمكن أن يتم تجاهل ذلك مع ما قد يبدو عليه من بساطة. لا بد أن تواجهوهم بما ينتج عن ذلك من أخطار، وتعيدوا التوكيد على قيمكم، وقناعاتكم، وتوقعاتكم".

"إن تملككم الشك، بكل الأحوال، في أن مراهقيكم يتعاطون المخدرات بشكل متكرر، أو لحظتم أي تغير في سلوكهم، أو درجاتهم الدراسية، أو مظهرهم، أو مواقفهم، أو صداقاتهم، أو عادات نومهم أو مأكلهم، فسيكون الوقت قد حان، بالنسبة لكم، للتصرف: إعلامهم بما لحظتموه. الاستماع إلى وجهة نظرهم. معرفة ما أمكنكم من الحقيقة. الاتصال بالجهات المختصة للحصول على معلومات إضافية. استشارة الأطباء. البحث عن كل ما هو متوفر من خدمات الاستشارة والعلاج. بكلمة واحدة: اطلبوا العون. لا يمكنكم الاضطلاع بذلك وحدكم".

تنهدت لورا قائلة: "أتمنى ألا أضطر إلى القيام بكل ذلك، وأن يحالفني الحظ ويبتعد أولادي عن المخدرات كلية".

عـقبتُ قـائلة: "لورا، لديك مـا هو أكـثر من الحظ لتعـولي عليـه: المهارات التي اكتسبتها، والفهم السليم لما يكفل تطبيقها بصورة حانية، وهو الأهـم في نظري. لا يقـتـصـر ذلك عليك فـحـسب، بل وجـمـيع الحـاضـرين أيضـا. أدخلتم الكثيـر من التغييـرات، طيلة بضعة الأشـهـر الماضيـة، على طريقـة تواصلكم مع أولادكم، ويمكن لتلك التغيـيـرات – بسيطة كانت أم كبيرة – أن تحدث تحولا جذريا في علاقتكم بهم".

"سيدرك أولادكم، عبر الاستجابة إلى مشاعرهم، وحل مشكلاتهم معا، وتشجيعهم على بلوغ أهدافهم، وتحقيق أحلامهم، سيدركون مدى الاحترام، والمحبة، والتقدير الذي تكنونه لهم، وسيؤدي ذلك بدوره إلى زيادة تقـديرهم لأنفـسـهم، واتخـاذهم مـا هو مـسـئـول من القـرارات، وابتعادهم عما يضر بصالحهم، ويهدد مستقبلهم".

سـاد الصـمت لفـتـرة من الزمن. لم يبـد أي من الحـاضـرين متلهفا للمغادرة بالرغم من طول الجلسة.

تنهـدت لورا قـائلة: "سـأفـتـقـد كل تلك الجلسـات، لا بسـبب مـا اكتسبـتـه من مـهـارات فـحسب، بل والدعم الذي تلقيتـه من جـميع الحـاضـرين أيضـا". أردفت، والدمـوع تترقـرق في عـينيـهـا، قـائلة: "وسـأفتقد الاستماع إلى أخبار أولادهم".

قامت كارين بمعانقتها، وكذا فعل مايكل.

تحدثت جوان قائلة: "يتمثل أكثر مـا سـأفتـقـده في إمكانيـة التحدث مع أشخاص آخرين حين أصادف مشكلة ما".

عقب جيم بحزن، قائلا: "يعلم جميعنا أننا سنصادف مشكلات جديدة مع مراهقينا. سيفتقد المرء، بالتالي، فرصة التباحث مع من يشاطرونه المشكلات ذاتها".

عقب توني بحماسة، قائلا: "من قال إنه يجب علينا التوقف نهائيا؟. ما رأيكم لو تابعنا لقاءاتنا كل شهر أو اثنين؟".

أثار اقتراح توني موجة من الردود المؤيدة.

نظر الجميع إلي بترقب.

أخذت دقيقة من الوقت للتفكير. تمثل ما تمناه أولئك الوالدون فيما أتمناه لغيرهم ومراهقيهم: نظام دعم متواصل، وعدم الشعور بالعزلة في مواجهة المشكلات، والتنفيس عن الهموم أمام من يتفهم من الناس، والأمل الناتج عن تبادل الأفكار والبحث عن احتمالات جديدة، والمتعة الناتجة عن مشاركة الآخرين بما يحققونه من تقدم مع أولادهم.

خاطبتهم قائلة: "إن كان ذلك ما تريدونه جميعا، فأعلموني بما تحددونه من مواعيد، وسأكون أول الحاضرين".

تذكرة

الجنس والمخدرات

عوضا عن التحدث بشكل مباشر ("ربما ظننت أنك تعرف كل شيء عن الجنس والمخدرات، ولكنني أعتقد أن الوقت قد حان لنتحدث عنهما معا").

انتهز الفرص الصغيرة لإثارة الموضوع:

عند الاستماع إلى المذياع: "هل تعتقد بصواب ما قاله الطبيب النفسي للتو؟ هل يصعب على الأولاد رفض تعاطي المخدرات كيلا يبدوا كالمغفلين أمام أصدقائهم، أو يخسروهم؟".

عند مشاهدة التلفاز: "إذاً، يتمثل كل ما يجب على الفتاة فعله لإثارة اهتمام الفتيان، وفق هذا الإعلان، في وضع أحمر الشفاه المناسب".

عند قراءة المجلة: "ما رأيك فيما يقولونه هنا: (يتعاطى الأولاد المخدرات أحيانا ليشعروا بما هو أفضل، ولكنهم يضطرون لذلك فيما بعد كي يشعروا أنهم طبيعيون)؟".

عند مشاهدة الأفلام: "هل بدا المشهد الأخير واقعيا؟ هل يمكن، بالفعل، أن يمارس أي مراهقين الجنس فور تعارفهما؟".

عند قـراءة الجـريدة: "ألق نظرة على هذا المقـال حين يكون لديك متسع من الوقت. يتحدث عن المراهقين وحفلات الشرب والعبث. يهمني أن أعرف رأيك فيه".

عند الاستماع إلى الموسيقى: "ما رأيك في كلمات هذه الأغنية؟. هل تعتقد بإمكانية تأثيرها في معاملة الفتيان للجنس الآخر؟".